

# دراسة في آليات تطور أشكال الجذور السامية



● د. حسام قُدوري  
كلية ابن رشد - جامعة بغداد

## أول الكلام:

يحدث التطوران الصوتي والصرفي تغييرا في هيئة الجذر يشمل مادته ووزنه هذا التغيير سار عبر السنين المتطاولة ليحدث أثره.

إن العادات الموروثة فيها التغيير كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس. فاللغة (عادات صوتية تؤديها عضلات خاصة ويتوارثها الخلف عن السلف غير أن تلك العضلات لا تؤدي تلك العادات الصوتية بصورة واحدة في كل مرة).

إن هذا التطور الطارئ على اللغة يحدث لأسباب وظروف كثيرة منها ما يخص تطور البيئات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومنها ما يخص تغير المعالم الحضارية التي تمتلكها الشعوب وتنميتها. وهذه الأسباب تتجاوز المجتمع إلى الفرد الواحد الذي لا يكاد ينطق الصوت الواحد تُطيق متشابهين<sup>(١)</sup>.

للتطور الصوتي الذي يحدث في الجذور مظاهر متعددة تختلف في ما بينها في عملها وتفسير حدوثها، وتتفق في أنها جعلت الجذور في حالة من عدم الاستقرار والثبات بما يسهم في توليد الجذور ونموها وتغييرها. ومن هذه المظاهر التي سترسها هذه الدراسة:

- ١- التوافق الصوتي، ويشمل: المماثلة والمخالفة.
- ٢- الإبدال الصوتي.
- ٣- الأصوات المستحسنة والمستهجنة عند سيبويه.

(١) ينظر: مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان: ٦٦-٦٧.

أما التطور الصرفي فإنه مقيد بمادة الجذور فقط؛ لذا فهو مقيد بأبحاث قليلة، منها: القلب المكاني.

## المبحث الأول: التوافق الصوتي

تمثل المخالفة والمماثلة توافقاً صوتياً تميل الأصوات بطبيعتها إليه، وهذا المبحث يوضح هذا الأمر.

### ١- المخالفة

المخالفة (ظاهرة صوتية يتحول فيها أحد صوتين مثلين متجاورين أو مفصولين إلى صوت آخر)<sup>(٢)</sup> وذلك بأن (يتغير صوت كلامي ليخالف صوتا مجاورا)<sup>(٣)</sup> وربما عرفوا المخالفة بضدّها أي المماثلة لأنها (تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين)<sup>(٤)</sup> أي إنها (ظاهرة تتمثل في نزعة صوتين مثلين أي ذوي صفات مشتركة إلى التباين)<sup>(٥)</sup>.

- (٢) المخالفة دراسة صرفية صوتية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، هيام فهمي إبراهيم: ٢؛ والأصوات اللغوية: ٢١١ فما بعدها.
- (٣) معجم علم اللغة النظري، د. محمد علي الخولي: ٧٧ وعلم اللغة العام الأصوات، د. كمال محمد بشر: ٩٥.
- (٤) دراسة الصوت اللغوي أحمد مختار عمر: ٣٢٩.
- (٥) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتنيو: ٢٦، والصوتيات، برتيل مالمبرج، ترجمة: د. محمد حلمي هليل: ١٢٠.

وقد تعددت تسميات هذه الظاهرة فأطلق عليها (المخالفة) و(التباين) و(التغاير أو المغايرة) و(التخالف) و(المفارقة) وكلها تسميات ظلت تستعمل حتى بدا مصطلح (المخالفة) مستقرا لدى الباحثين.

ولنشوء المخالفة أسباب، منها:

### الأول: الاقتصاد اللغوي:

ويفسر بأن اللسان يصعب عليه أن يعود إلى المخرج نفسه لينتج الصوت الذي أخرجه أولا فيميل إلى قلب (أحد الصوتين صوتا آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهودا عضليا)<sup>(١)</sup> كالأصوات المائعة، كاللام والراء.

### الثاني: الحالة النفسية:

وهو تفسير يرى حصول المخالفة خوفا من الخطأ في النطق؛ (لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ويصعب عليها إعادة تصور بعينه بعد حصوله مدة قصيرة ومن هنا ينشأ الخطأ إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتتابع حروف متشابهة)<sup>(٢)</sup>.

- (١) التطور اللغوي مظهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب: ٤١؛ وينظر: مدخل إلى اللغتين الأكديّة والعربية دراسة معجمية (رسالة ماجستير)، أدريان ماتشيلارو: ١١٨.
- (٢) التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه: د. رمضان عبد التواب: ٢١.

وهذا الرأي يميل إلى الفردية في دراسة هذه الظاهرة ولا يقترب من فهمها على أنها سلوك جمعي للناطقين بلغة معينة فهو يفسر شيئا من علة هذه الظاهرة جاعلا المتكلم ناطقا مثاليا بما لا يقبله العقل اللغوي.

### الثالث: الصراع اللغوي:

ويعني أن الصوت القوي يغلب الصوت الضعيف، وقد جعلت الباحثة هيام فهمي هذا السبب (اقرب إلى المماثلة منه إلى المخالفة؛ لأنه في حالة التباين بين الصوتين ينطق كل منهما كما هو بكل خصائصه دون أدنى تغير ناشئ عن التجاور)<sup>(٣)</sup> ولنا أن نقول إن نفي التغير يلغي أصل المخالفة لذا فلا حاجة لما ذكرته الباحثة من هذا التقييد.

وقد يُرى (أن أرجح الآراء التي قيلت في سبب المخالفة هو صعوبة نطق الأصوات بعضها مع بعض عند بناء الكلمة فتتأثر الأصوات بعضها ببعض وتنطق بالطريقة الأسهل والسهولة وتأثير الأصوات في بعضها سببان يمكن أن يكونا خلاصة لكل الآراء التي قيلت في هذا الموضوع والاحتمالات المتعددة في هذه التغييرات مما عرضته من تلك الآراء)<sup>(٤)</sup>، وفيه نظر؛ لأن توخي السهولة يدعو إلى إلغاء نقيض المخالفة وهي المماثلة فإذا قلنا بهذا السبب في نشوء المخالفة وهو سهولة النطق فبم نعلل ظهور المماثلة التي تدعو

(٣) المخالفة: ١٠-١١.

(٤) المخالفة: ١٣.

إلى اتحاد المخارج أو الصفات؟!.

**وللمخالفة صور هي:**

**الأولى: المخالفة المتصلة:**

وفيها يتغير أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت يكون بعيداً في مخرجه في الغالب ويحدث غالباً في الأصوات المشددة والمكررة وتنقسم المخالفة المتصلة على نوعين، هما:

**الأول: المخالفة المتصلة المدبرة:**

فيها يتأثر الصوت الثاني بالصوت الأول ومن ذلك قول العرب في (إجاص) (إنجاص) إذ قلب الجيم الأول نوناً، وهذا النوع شائع في اللهجات الآرامية<sup>(١)</sup>.

وكذا في لغة المسند القديم، يقول مطهر الارياني: (... البت في البنت، وليست هذه كلمة مبنية خاصة والمراد من ذكرها هو الإشارة إلى أن لغة المسند اليمني القديم كانت تحذف النون الساكنة إذا جاءت خلال الكلمة ويعوضون عنها بتضعيف الحرف الذي يليها، مثل: يصّر في ينصر، ومدب في مندب (...)<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة المخالفة المتصلة المدبرة فكّ التضعيف واستبدال الحرف الأول منه نوناً وهي ظاهرة تستدعي الاهتمام وتحتاج إلى تحليل اختيار النون وربما يعود ذلك إلى سهولة نطقه وما في غنّته من جرس<sup>(٣)</sup>، ومن أمثلة ذلك:

- فكّ التضعيف في الصاد من (iṣṣabtum) الأكدية وإبدال الأولى منهما نوناً فتصبح (inṣabtum). وهي بمعنى يضبط أو حلقة<sup>(٤)</sup>.

- فكّ التضعيف في الزاي في مثل (hzzr بالخاء) الاوجاريتية<sup>(٥)</sup> التي تصبح فيها (hzzr) بمعنى خنزير، وكذا في العبرية والسريانية.

**الثاني: المخالفة المتصلة المقبلة:**

وفيها يتأثر الصوت الأول بالصوت الثاني ومنه استئصال العرب اجتماع ثلاث أصوات للعين في الفعل (كععت) ففرقوا بينها بحرف

(١) نظر: جوانب صرفية في الكتابات النقشية الحضرية، (بحث)، بهاء عامر الجبوري: ٨٢ - ٨٣.

(٢) المعجم اليمني: ٨٤.

(٣) ينظر: النون في العربية دراسة صوتية (رسالة ماجستير)، مشتاق عباس معن علي: ٧٥.

(٤) CDA.(I): 9.

(٥) UG: 401.

مكرر فقالوا: (كعكعت).

ومن أمثلة المخالفة المتصلة المقبلة:

- في الأوجاريتية والعبرية والسريانية hll، التي تصبح في العربية هلهل بمعناه<sup>(٦)</sup>.

- في الاوجاريتية تتحول الجذور kbb و kll إلى kbkb و kklk<sup>(٧)</sup>.

**الثانية: المخالفة المنفصلة:**

وعمدة مفهومها وجود فاصل بين صوتيها المتماثلين قد يكون حرفاً واحداً كما في (اخضوضر) في اخضضر من اخضّر؛ فأبدلت الراء الأولى واواً والفاصل هنا هو الضاد وقد يكون الفاصل حرفين نحو فنجال من أصل فنجان فأبدلت النون الثانية لاماً والفاصل الجيم والألف، وهذه المخالفة على نوعين:

**الأول: المخالفة المنفصلة المدبرة:**

إذ يؤثر الصوت الثاني في الأول من ذلك قولهم: (علوان) الكتاب في (عنوان) إذ أبدلوا النون الأولى لاما والفاصل هو الواو والألف.

ويتحول صوت الـ(B) الأول من (kabkab) إلى صوت واو (W) لتصبح (kawkab) وهي بمعنى الكوكب<sup>(٨)</sup>.

ومن أمثلتها:

- إبدال الزاي الأولى في الكلمة (azizta) في اللغة المندائية نوناً فتصبح (anizta)<sup>(٩)</sup>.

- إبدال الباء واواً في dabdûm فتصبح dawdum ومعناها الهزبية في البابلية القديمة<sup>(١٠)</sup>.

**الثاني: المخالفة المنفصلة المقبلة:**

ويحدث تأثير الصوت الأول في الصوت الثاني فيها مع وجود الفاصل بينهما ومن أمثلته (بغداد)؛ إذ تبدل الدال الثانية فيها نوناً.

ومن أمثلة ذلك: تحول صوت L الثانية إلى R في لفظة lahlu بالخاء فتصبح lahru بمعنى نعجة<sup>(١١)</sup>.

(٦) UG: 390.

(٧) UG: (K): 417 & 419.

(٨) ينظر: فقه اللغات السامية: ٧٤.

(٩) MAN: 12.

(١٠) AHw: I / 148.

(١١) ينظر: فقه اللغات السامية: ٧٤.

## ٢- المماثلة

يعالج قانون المماثلة تأثير الأصوات المتجاورة في الكلمات وتأثيرها والجمل بعضها ببعض وميلها إلى الاتفاق في المخارج والصفات نزوعاً إلى الانسجام الصوتي واقتصاداً في الجهد الذي يبذله المتكلم<sup>(١)</sup>. إن الاختلاف في مخارج الأصوات وصفاتها يحدو المتكلم لا شعورياً إلى تقريب الفجوة في هذا الاختلاف بتقريب وصف الصوت إلى ما يشبه الآخر فيحدث نوعاً من تسهيل عملية النطق والتصرف في الكلام<sup>(٢)</sup>.

من هذا الفهم عرّف المماثلة بأنها (تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماًناً جزئياً أو كلياً)<sup>(٣)</sup>.

إن صفة الصوت تؤثر في الصوت الآخر وصفته فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً - مثلاً - حدث بينهما شدّ وجذب وحاول كل منهما جذب صاحبه إليه بتماثله معه في صفاته كلها أو بعضها<sup>(٤)</sup> والتأثير في هذه العملية يكون للصوت الأقوى<sup>(٥)</sup>.

ويحدث هذا التأثير سواء أكان الصوتان متصلين تماماً أم كان بينهما فاصل من الأصوات الصامتة أو الحركات. فإذا أثر الصوت الأول في الثاني سمي التأثير (مقبلاً) وإذا أثر الثاني في الأول سمي (مدبراً) وإذا أصبحت المماثلة تامّة بين الصوتين سمي التأثير كلياً وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت سمي التأثير جزئياً. مع ضرورة وجود علاقة صوتية بين الصوتين المتجاورين؛ ليتم التأثير إبدالاً أو مماثلةً<sup>(٦)</sup> وهذه العلاقة تعتمد اعتبارين مهمين، هما:

(١) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د. عبد العزيز الصبغ: ٢٧٩ - ٢٨٠، وينظر: مدخل إلى اللغتين الأكدية والعربية (دراسة معجمية): ٤٩ فما بعدها.

(٢) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢٧٩.

(٣) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢٨٠ نقلاً عن دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر: ٣٢٤؛ ولهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب: ٨٢؛ والأصوات اللغوية: ١٧٩ فما بعدها.

(٤) ينظر: التطور اللغوي: ٢٢ وفي البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطية: ٧٠ ومظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة، د. نعمة رحيم العزاوي: ٥١.

(٥) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية (رؤية جديدة للصرف العربي)، د. عبد الصبور شاهين: ٢٠٨.

(٦) المنهج الصوتي للبنية العربية: ٢١٠-٢١١.

الأول: تقارب المخرج أو اتحاده.

الثاني: كون الصوتين من مجموعة واحدة كأن يكونا صامتين أو حركتين. أقسام المماثلة:

**الأول: التآثر المقبل الكلي في حال الاتصال:**

وفيه يظهر تأثير الصوت الأول في الصوت الثاني بلا فاصل بينهما ويكون التأثير كاملاً فيقلبه إلى مثله، ومن ذلك: أن تتأثر تاء افتعل دائماً بالبدال والطاء قبلها فتتقلب دالاً أو طاء نحو ادترك تصبح أدرك، واطتلع تصبح أطلع.

تسري هذه القاعدة في اللغة الأكدية أيضاً إذ تبدل التاء (الداخلة على الفعل سواء أكانت للماضي التام أو لإحدى الصيغ الثانوية ببدال أو طاء أو إلى أي حرف من الحروف السنية ما عدا الشين)<sup>(٧)</sup> ومن ذلك:

- في attardam تقلب التاء طاء وتدغم بالطاء الأولى فتصبح attardam بمعنى أرسلت<sup>(٨)</sup>. إذ يسحب الطاء المجهور التاء المهموس إلى حيزه من الجهر فيصبح طاء مثله؛ لأنهما لا يختلفان إلا في هذه الصفة.

- في aṣṭabat بمعنى ضبط تقلب التاء صاداً وتدغم في الصاد الأولى فتصبح aṣṣabat لأن الصاد المجهور مال بالتاء المهموس إلى حيز الجهر فتتحول كلياً أي أصبح صاداً مثله.

**الثاني: التآثر المقبل الكلي في حال الانفصال:**

وفيه يظهر تأثير الصوت الأول في الصوت الثاني وبينهما فاصل ويكون التأثير كاملاً فيقلبه إلى مثله. ومثاله تحول ضمة الزاي إلى فتحة متأثراً بفتحة الحاء في كلمة خَيْزُرَان.

ومن ذلك في اللغات السامية، في اللغة الأكدية يؤثر اللام في النون فيقلبه إلى لام آخر في (elûnum)<sup>(٩)</sup> فتصبح (elûlum) بمعنى شهر أيلول، لكن لا يدغمان؛ للفاصل الذي بينهما.

(٧) د. عامر سليمان، اللغة الأكدية (البابلية والآشورية)، تاريخها وتدوينها وقواعدها، ١٩٠.

(٨) المصدر نفسه ١٩٠.

(٩) المصدر نفسه ١٩٠.

(١٠) CDA, (E): 8.

### الثالث: التأثر المقبل الجزني في حال الاتصال:

وفيه يظهر تأثير الصوت الأول في الصوت الثاني بلا فاصل بينهما ويكون التأثير بينهما ناقصاً. من ذلك تأثر تاء الافتعال بالصاد والصاد والزاي قبلها فتقلب طاء مع الصاد والصاد: اصتبع تصبح اصطبع، اضطلع تصبح اضطجع وتقلب دالا مع الزاي انجزر تصبح ازجر، ومنه انقلاب تاء الافتعال دالا إذا كانت فاء الفعل جيما في بعض اللهجات القديمة فيقولون: اجدمع في اجتمع واجدز في اجتز.

#### من ذلك في اللغات السامية:

- في اللغة الأكديّة تبدل التاء التي تدخل على الفعل " سواء أكانت للماضي التام أو لإحدى الصيغ الثانوية بدال أو طاء " (١) كما في igdamrû التي تصبح Igdamrû والسبب في ذلك أن الجيم المجهور سحب التاء المهموس إلى حيزه من الجهر فأصبحت دالاً.

- في اللغة المندائية يؤثر الكاف المهموس في الباء المجهور كما في كلمة (kbar) فتصبح (kpar) فيسحبه إلى حيز همس فيتحول الباء إلى P المهموس.

- في العبرية تسري القاعدة في وزن اتفعل نحو (هت ز م ن) إذ تصبح (هز م ن) بتقدم الزاي على التاء وقلب التاء دالاً؛ لأن الزاي المجهور سحب التاء المهموس إلى حيزه فأصبح دالاً (٢).

### الرابع: التأثر المقبل الجزني حال الانفصال:

وفيه يظهر تأثير الصوت الأول في الصوت الثاني بفاصل بينهما ويكون التأثير بينهما ناقصاً ومن ذلك انقلاب السين المهموسة إلى نظيرها المجهور وهو الزاي تأثراً بالراء المجهورة قبلها نحو مهراس ومهراز.

ومن ذلك في اللغات السامية:

- يؤثر صوت الجيم في التاء في كلمة (agittu) الأكديّة (٣) فيسحبه إلى حيزه فيصبح دالا فتصبح (agiddu) بمعنى عصابة

(١) اللغة الأكديّة (البابلية - الآشورية)، تاريخها وتدوينها وقواعدها: ١٩٠.

(٢) Man: (K):202 & 222.

(٣) ينظر: الكنز في قواعد اللغة العبرية، محمد بدر: ١١٩ - ١٢٠؛ ودروس اللغة العبرية، د. ربحي كمال: ٢٣٨.

(٤) CDA, (A):6.

أو عمامة.

- يؤثر صوت الكاف في الباء في كلمة (akabbu) الأكديّة (٤) فتصبح (P) مهموسة فتصبح (akappu) بمعنى شجرة.

### الخامس: التأثر المدبر الكلّي في حال الاتصال:

ويحدث بتأثير الصوت الثاني في الصوت الأول ويكون التأثير كلياً فيدغمان بلا فاصل بينهما إذ تتأثر تاء صيغة تفاعل وتفاعل بعد تسكينها للتخفيف بقاء الفعل إذا كان صوتاً من أصوات الصفير أو الأسنان مثل: يتذكر تصبح يذكر وأذكر في الماضي ومنه قوله تعالى: { إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ } (٥) ومنه أيضاً تأثر النون في مثل إن وإن ومن.

ومن أمثلة ذلك في اللغات السامية:

- في اللغة الأكديّة يؤثر صوت اللام في صوت النون في (enlil) فتصبح النون لاماً فيدغم اللامان وتصبح (ellil) بمعنى الإله إنليل.

- في الأكديّة أيضاً يجب إبدال الدال الساكنة قبل التاء تاء ومن ذلك: ma' adtum التي تصبح (ma' ttum).

### السادس: التأثر المدبر الكلّي في حال الانفصال:

ويحدث بتأثير الصوت الثاني في الصوت الأول ويكون التأثير كلياً ولا يدغمان للفاصل الذي بينهما ومنه مُنْذُ فأصله من وذو فحركة الميم تغيرت إلى ضمة؛ تأثراً بحركة الذال بعدها.

ومن ذلك في اللغات السامية التوافق الحركي (٦) وهو مماثلة الفتحة بالحركة التي تليها وهو خاص باللهجة الآشورية ومن ذلك بمعنى رأس qaqqudu = qaqquadu  
بمعنى عشب أو كلاً išbutū = išbatū

### السابع: التأثر المدبر الجزني في حال الاتصال:

ويحدث بتأثير الصوت الثاني في الصوت الأول ويكون التأثير

(٥) CDA, (A):9.

(٦) سورة الحديد: ١٨.

(٧) CDA, (E):11.

(٨) ينظر: اللغة الأكديّة (البابلية - الآشورية)، تاريخها وتدوينها وقواعدها: ١٩١.

(٩) ينظر: مدخل إلى اللغتين الأكديّة والعربية (دراسة معجمية): ٥٢-٥٣.

ناقصاً بلا فاصل بينهما ومنه تحول الصاد قبل الدال إلى زاي في العربية القديمة مثل يزدق في يصدق.

ومن ذلك في اللغات السامية:

- في اللغة المندائية يؤثر صوت الجيم المجهور في السين فيجذبه إلى حيزه في كلمة (sga) بمعنى ذهب التي تصبح (zga) بقلب السين زايّاً (٧).

- في اللغة المندائية يؤثر صوت الباء المجهور في صوت التاء المهموس في كلمة (ktb) بمعنى كذب فيسحبه إلى حيزه في الجهر فتحول إلى دال فأصبحت الكلمة (kdb).

### الثامن: التأثر المدبر الجزني في حال الانفصال:

ويحدث بتأثير الصوت الثاني في الصوت الأول ويكون التأثير ناقصاً بفاصل بينهما ومنه تحول السين إلى زاي فيقولون: سعتري زعتري؛ لتأثر السين بالراء ومنه قلب السين صاداً قبل الطاء نحو: مسيطر التي تصبح مصيطراً وصراط في سراط. ومن هذا النوع من المماثلة أيضاً:

- تأثير (B) المجهور في (K) المهموس في كلمة (kabābu) الأكديّة فيسحبه إلى حيز الجهر فيصبح (G) لتصبح الكلمة (gabābu) بمعنى يحترق أو حاجب (٨).

- تأثير الشين في الدال في كلمة (idduššu) بمعنى غطاء فيسحبه إلى حيزه فيصبح (T) لتصبح الكلمة (itūššu).

### المبحث الثاني: الإبدال الصوتي

وهو من الظواهر الصوتية التي تتمثل (نوعاً من التحول الداخلي في الكلمة يراد به الارتقاء اللغوي) (٩) وقد عني به الأقدمون؛ قال ابن فارس: (ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض) (١٠) وألح الدكتور عبد الصبور شاهين إلى صفة عدم القصد

(١) MAN: 317.

(٢) MAN: 204.

(٣) CDA, (K): 1.

(٤) CDA, (I): 1.

(٥) مدخل إلى دراسة الصرف العربي على ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة د. مصطفى النحاس: ٩٧.

(٦) الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٢٠٣. وينظر: مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة: ٥٨-٥٩.

في حدوث الإبدال واعتراض على هذا التعبير وأبدل كلمة (إقامة) بـ (قيام) حتى يتم عدم القصد بحسب ما يرى (١١).

والدرس الصرفي التقليدي يجعل الإبدال موضوعاً عاماً يدخل في مفهومه المخالفة والمماثلة يقول عبد العليم إبراهيم: (والإبدال تغيير يحدث في حرف آخر غير أحرف العلة والهمزة مثل تغيير اصتبر إلى اصطرِب بإبدال التاء دالاً) (١٢) وما ضربه من أمثلة على الإبدال هو من المماثلة.

ويشترط في الإبدال بين الأصوات أن تكون هناك صلة بين المبدل والمبدل منه قال أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) في ما نقل عنه ابن جني: (إن أصل القلب في الحروف إنما هو في ما تقارب منها) (١٣) وهو مذهب المحدثين أيضاً (١٤).

ولعل العرب قد احتاجوا إلى الإبدال الصوتي في إخضاع ما يرد من المفردات الأعجمية حتى تكون على سجية لغتهم، وقد أشار إلى هذا أبو منصور الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ) بقوله: (إعلم أنهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقرها مخرجاً، وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضاً) (١٥).

وقد رتب الإبدال حسب مخرج الحروف فكانت: متدانية المخرج ومتجاورة المخرج ومتقاربة المخرج ومتباعدة المخرج (١٦) وعليه سيسير البحث في دراسة الإبدال الصوتي في اللغات السامية على وفق الآتي:

### ١- الإبدال في الأصوات المتدانية المخرج:

ويقصد بها (ما كانت الحروف فيه أدنى إلى بعضها في المخرج من غيرها إذا كان معها فيه غيرها كالمهمزة والهاء فهما وإن كانا من حروف الحلق (١٧) إلا أنهما أدنى إلى بعضهما من العين؛ التي

(٧) ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين: ٢٦٥.

(٨) تيسير الإعلال والإبدال، عبد العليم إبراهيم: ٥.

(٩) سر صناعة الإعراب: ١ / ١٨٠.

(١٠) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام النعيمي: ٩٨؛

والصرف وعلم الأصوات د. ديزيزة سقال: ١٥٤-١٥٥.

(١١) المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: ٦.

(١٢) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٩٨.

(١٣) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٥٨.



هي من حروف الحلق أيضاً<sup>(١)</sup>.

ومن هذه الأصوات:

- الزاي والسين والصاد:

ومخرجهنّ ممّا بين التنايا وطرف اللسان وهي أسليّة<sup>(٢)</sup> صغيرة رخوة. السين والصاد يوصفان بالهمس والزاي بالجهر<sup>(٣)</sup>. ومن أمثلة ذلك إبدال صاد (ص دق) بالزاي؛ فتصبح في السريانية ز ا د ق: صدق حق؛ المندائية ز د ق ص د ق<sup>(٤)</sup>. ومن ذلك في المندائية أيضاً<sup>(٥)</sup> (bzq)؛ إذ أبدلت الزاي من الصاد في بصر. وقد احتفظت العربية بجذره بالصاد والسين والزاي، يقول ابن فارس في (بصر): (الباء والصاد والقاف أصل واحد يشارك الباء والسين والقاف، والأمر بينهما قريب. يقال بَصَقَ بمعنى بَزَقَ وَبَسَقَ)<sup>(٦)</sup> أقول: هذه المجموعة تمثل تطوراً صوتياً لشكل واحد مفترض أصبح يتسم بخصائص أخذت بالتميز الذي جعل منها ثلاثة في ما بعد ويقوي ذلك قراءة حمزة بإشمام الصاد زايًا<sup>(٧)</sup> في [أهدنَا الصَّرَاطُ المُسْتَقِيمَ]<sup>(٨)</sup> فهذا الصوت المشرب يمثل دليلاً على هذا التطور في نطق الصوت المفترض ويقويه نطق العرب لكلمات بالأصوات الثلاثة والمعنى واحد فيها؛ كالصقر؛ إذ نطقت سقراً وزقراً<sup>(٩)</sup>.

- الباء والميم:

صوتان شفويان مجهوران يوصفان بالشدة على رأي سيبويه ويوصف الميم بأنه أنفي ذو غنة<sup>(١٠)</sup> يكادان يتفقان في المخرج

والصفة<sup>(١١)</sup>.

ومنه قول ابن فارس في (بقر): (فأما قولهم: ابْتُغِعَ لَوْهٌ، فيجوز أن يكونَ من هذا<sup>(١٢)</sup>، ويجوز أن يكونَ من باب الإبدال؛ لأنهم يقولون ابْتُغِعَ لَوْهٌ)<sup>(١٣)</sup>.

ومن ذلك إبدال باء ebbūbu بالميم؛ فتصبح embūbu التي تعني الأنبوب نفسه، وإبدال الباء من (رب) بمعنى العظيم في العربية ميماً فتصبح (رم)<sup>(١٤)</sup> وفي السريانية (ز ب ن ا) بإبدالها ميماً في العربية (زمن).

- الباء والواو غير المدية:

يوصف الواو بأنه صوت شفوي مجهور فكلاهما يتفقان في الصفة والمخرج<sup>(١٥)</sup>. ومن ذلك إبدال باء kabkabu بالواو؛ فتصبح (كوكباً)<sup>(١٦)</sup>. ومنه في الأكدية abīlum بمعنى رجل التي أصبحت awīlum<sup>(١٧)</sup>، ومنه wd<sup>(١٨)</sup> بمعنى هلاك<sup>(١٩)</sup> المأخوذة من السامية الأم bd<sup>(٢٠)</sup> بمعناه<sup>(٢١)</sup>.

٢- الإبدال في الأصوات المتجاورة المخرج:

ويقصد بالمتجاورة (ما كانت الحروف فيه من مخرج واحد إلاّ أنها ليس فيها صفة التداي)<sup>(٢٢)</sup> فمن ذلك.

- الهمزة والعين:

والصوتان حلقيان مجهوران<sup>(٢٣)</sup>.

العربية: ١٦٥.

(١٢) ينظر: علم الأصوات العام: ١١٤ و ١١٨ - ١١٩.

(١٣) يريد به معناه الأصل، وهو خلط الألوان.

(١٤) معجم المقاييس في اللغة: ١٤٦.

(١٥) CDA, (E): 1.

(١٦) BDB: 912.

(١٧) ينظر: علم الأصوات العام: ١٣٨.

(١٨) UG: (K): 417.

(١٩) CDA, (A): 33.

(٢٠) UG: 348.

(٢١) ذكر الدكتور خالد اسماعيل أن السريانية السوادية (سورث) تنطق الباء وأوا عادة نحو آبا = آوا.

(٢٢) الدراسات اللغوية والصوتية عند ابن جني: ٩٧.

(٢٣) ينظر: علم الأصوات العام: ١١٨ و ١٢٦ والهمزة محل خلاف في وصفها

ومنه قول ابن فارس في (عله): العين واللام والهاء أصل صحيح، ويمكن أن يكون من باب إبدال الهمزة عيناً؛ لأنه يجري مجرى الأله والوله...<sup>(١)</sup>.

والسائد أن الأكدية تبدل العين همزة غير أن الدكتور خالد الأعظمي يرى أنها أحق اللغات بوراثة هذا الصوت من السامية الأم؛ فهي تلفظه عيناً لم يستطع ضبطه بسبب صعوبة الخط المسماري<sup>(٢)</sup>.

- الهاء والحاء:

كلاهما حلقيان رخوان مهموسان إلا أن الحاء من وسط الحلق والهاء من أقصاه<sup>(٣)</sup> ويكثر هذا الإبدال في المندائية<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك إبدال الهاء حاءً في هيكل إذ تصبح (ح ي ك ل) في السبئية<sup>(٥)</sup>.

- القاف والكاف:

صوتان شديدان من أقصى اللسان مخرج القاف وأدنى منه إلى مقدم الفم مخرج الكاف وهو مهموس والقاف مجهور<sup>(٦)</sup>.

ولتطور القاف صور عديدة منها تطوره إلى كاف نقيه في صفاتها وإلى كاف مغلظة، وإلى صوت بين القاف والكاف<sup>(٧)</sup>.

ومنه في السريانية (ق ر ط ي س ا) و(ك ر ط ي س ا) بمعنى الرّق وفي الأكدية (ك ص أ ص) بمعنى (ق ص ص)<sup>(٨)</sup>.

- اللام والنون:

الصوتان مجهوران متوسطان بين الشدة والرخاوة ومخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا<sup>(٩)</sup>.

والصلة بينهما قريبة، وهو ذو صلة بإبدال اللام ميماً<sup>(١٠)</sup>، وهي ظاهرة رصدها درس اللغوي القديم في (الطمطمانية)<sup>(١١)</sup> ومنها الحديث المعروف (ليس من امبر امصيام في امسفر)<sup>(١٢)</sup> أي ليس من البر الصيام في السفر، ويمكن ربطها بتطور اللام إلى نون؛ للتشابه في أنهما ذلحيان يتقاربان في الصفات.

ومنه رمان ففي (الأكدية ن ر م و)، وفي نصوص نوزي ن ر م، ومن صيغها الأخرى ل ر م و، ل ر ي ن، ن ر م ت، ل ر م ت، ن ر م ن؛ ر م ن AHw 804, 405 الأوجاريتية ل ر م ن - ت؛ العبرية ر م و ن؛ الآرامية والسريانية والمندائية ر م ا ن؛ الحبشية رومان (CDG471)<sup>(١٣)</sup>.

٣- الإبدال في الأصوات المتقاربة المخرج:

ويقصد بها (الحروف التي من مخرجين مختلفين ولكن موضعهما في النطق متقاربان)<sup>(١٤)</sup> ومن ذلك:

- الزاي والذال:

مجهوران رخوان متقاربان في المخرج؛ فالزاي أسنانية لثوية، والذال أسنانية<sup>(١٥)</sup>.

من ذلك إبدال الذال زايًا في كلمة ذئب ففي (الأكدية ز ي ب؛ ابن آوى نَسَر AHw ١٥٢٥؛ العبرية ز أ ب: ذئب... الحبشية ز إ ب: ضَبَع CDG ٦٣٠)<sup>(١٦)</sup> وكذا في كلمة ذباب؛ إذ هي في (الأكدية ز ب ب م) ز م ب س ب ب م AHw ١٥٣٥؛ العبرية ز ب و ب... الأمهرية ز م ب: ذباب)<sup>(١٧)</sup>

(٩) ينظر: علم الأصوات العام: ١٢٨ و ١١٩.

(١٠) ينظر: فصول في فقه العربية: ١٢٩.

(١١) ينظر: في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس: ١٣٠، مباحث في علم اللغة واللسانيات، د. رشيد العبيدي: ٣٣١-٣٣٢.

(١٢) ينظر: فصول في فقه العربية: ١٢٨، والحديث في مسند أحمد ٤٣٤/٥.

(١٣) القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم مادة (ر م ن): ٢١١.

(١٤) الدراسات اللغوية والصوتية عند ابن جني: ٩٧.

(١٥) ينظر: علم الأصوات العام: ١٢٣ و ١٢١.

(١٦) القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم مادة (ذ أ ب): ١٨١.

(١٧) القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم مادة (ذ ب ب): ١٨١.

بالجهر أو الهمس

(١) معجم المقاييس في اللغة: ٦٨٩.

(٢) ينظر: تفصيل بحنه (صوت العين وكتابته في اللغة البابلية - الآشورية) مجلة سومر مج ١٩: ١٩٦٣.

(٣) ينظر: علم الأصوات العام: ١٢٦.

(٤) ينظر: القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم المواد: (ح س س) : ١٢٢ و (ح س ن) ١٢٣ و (ح ص ب): ١٢٤.

(٥) ينظر: الظواهر الصوتية في العربية الجنوبية: ٢٢٧.

(٦) ينظر: علم الأصوات العام: ١١٧ - وهو مهموس عند المحدثين - و ١١٦.

(٧) ينظر: الظواهر الصوتية في العربية الجنوبية: ٢٠٢-٢٠٣، وذكر الدكتور خالد إسماعيل ك و ش ط ا = قسط، وفي اللهجة الفلسطينية القاف ينطق كافاً كما في قرنة التي تنطق كرنه.

(٨) ينظر: القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم مادتا: (ق ر ط س):

٤٢٧ و (ق ص ص): ٤٣٢.

ومنه إبدال الذال من (ذ ب ح) زايًا في: (الأكدية ز ي ب م):  
ذبح AHw ١٥٢٥... العبرية ز ب ح: بمعناه... الحبشية ز  
ب ح: ذبح<sup>(١)</sup> والمظنون غلبة هذا الإبدال على الأكدية والعبرية  
والحبشية.

#### - الذال والذال:

الذال أسناني لثويٌّ مجهور شديد والذال أسناني مجهور رخو<sup>(٢)</sup>.  
(ويمكن أن تعطل هذه الظاهرة بانتقال مخرج الذال إلى الورا  
قليلاً فيصادف مخرج الذال، وحينها تتغير صفة الذال من الرخاوة  
إلى الشدة فيبدل دالا)<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا الإبدال إبدال الذال من (ذ ب ح) دالا في (الآرامية  
والسريانية ذ ب ح: بمعناه: المندائية ذ ب ا: ذبح...<sup>(٤)</sup>) وكذا الجذر  
(ذ ر أ): إذ هو في (الآرامية والسريانية ذ ر أ: بمعناه وفي المندائية ذ  
ر ا: ذ ر أ)<sup>(٥)</sup> وكذا (ذ ق ن): إذ هو في (الأوجاريتية ذ ق ن...  
الآرامية ذ ق ن ا: ذقن؛ السريانية ذ ق ن: مثله؛ المندائية ذ ق ن ا  
ز ق ن ا)<sup>(٦)</sup> ونلمح في المندائية وجهين من الإبدال الصوتي بالذال  
والزاي.

#### - السين والتاء (٧):

الصوتان مهموسان التاء شديد والسين صفيري رخو.  
يمكن تفسير ذلك بتحول السين إلى تاء ثم تطورها إلى تاء أو  
أن الصاد العبرية المزوجة من TS تنفك إلى هذين الحرفين ثم  
يسقط أحدهما.

ومنه قول ابن فارس في (خوت): (الخاء والواو والتاء أصلٌ  
واحد يدل على نفاذ ومرور بإقدام... فأما ما حكاه ابن الأعرابي  
من قولهم خاتٌ يَخُوتٌ إذا نَقَضَ عَهْدَهُ، فيجوز أن يكون من

- (١) القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم مادة (ذ ب ح): ١٨٢.
- (٢) ينظر: علم الأصوات العام: ١١٥ و ١٢١.
- (٣) الظواهر الصوتية في العربية الجنوبية: ٨٩.
- (٤) القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم مادة (ذ ب ح): ١٨٢.
- (٥) القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم مادة (ذ ر أ): ١٨٢.
- (٦) القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم مادة (ذ ق ن): ١٨٤.
- (٧) ينظر: فقه لغات العاربة المقارن (مسائل وآراء) د. خالد إسماعيل:  
٨٩. والعلاقة بين أصوات (التاء والتاء والسين والسين) وشبيجة إذ يرى  
برجستراسر أن السين والتاء ناشتان من التاء، ينظر: التطور النحوي  
للغة العربية: ٣٧-٣٨.

الباب، كأنه نَقَضَ ومَرَّ في نَهَجٍ غَدْرِهِ. ويجوز أن تكون التاء مبدلةً  
من سين، كأنه خاس، فلما قَلَبَتِ السين تاءً غُيِّرَ البناء من يَخِيس  
إلى يَخُوت<sup>(٨)</sup>.

ومن ذلك إبدال السين من (س د س) تاء ففي (الأكدية ش  
ش ش م « ش د ش AHw ١٢٢٠؛ الأوجاريتية العدد الترتيبي  
ش د ش؛ العبرية ش ش؛ الآرامية ش ش ت ش ت ا ش ت ا؛  
السريانية ش ت؛ المندائية ش ي ت؛ السبئية س د ت؛ ست  
سادس؛ الحبشية س د د س: سَدَسَ س س س: ست س د س:  
سادس)<sup>(٩)</sup> ويمكن ملاحظة هذا التطور في صوت السين وربما  
السين إلى تاء فيها بالجدول الآتي:

جدول بتلفظ كلمة شمس باللغات السامية

الأكدية	ش	ش	ش
الأوجاريتية	ش <td>د <td>ش </td></td>	د <td>ش </td>	ش
العبرية	ش <td>ش <td>ش </td></td>	ش <td>ش </td>	ش
الآرامية والمندائية والسريانية	ش <td>ت <td>ت </td></td>	ت <td>ت </td>	ت
السبئية	س <td>د <td>ث </td></td>	د <td>ث </td>	ث
الحبشية	س <td>د + د <td>س </td></td>	د + د <td>س </td>	س
	س <td>س <td>س </td></td>	س <td>س </td>	س

ويمكن ملاحظة عدم الاعتداد بالزمن في هذا التطور الصوتي؛  
إذ اتفقت الأكدية والحبشية في آلية النطق على الرغم من التباعد  
الزمني الواضح بينهما.

#### - التاء والتاء:

مهموسان رخوان مخرجهما (من بين طرف اللسان وأطراف  
النتايا مخرج التاء ومن باطن الشفة السفلى وأطراف النتايا العليا  
مخرج التاء)<sup>(١٠)</sup>.

ومنه قول ابن فارس في (تدم): (التاء والذال والميم كلمةٌ  
ليست أصلاً. زَعَمُوا أَنَّ التَّدْمَ هو التَّدْمُ. وهذا إن صحَّ فهو من  
باب الإبدال)<sup>(١١)</sup>.

- (٨) معجم المقاييس في اللغة: ٢٣٤.
- (٩) القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم مادة (س د س): ٢٤٠.
- (١٠) ينظر: علم الأصوات العام: ١٢١.
- (١١) معجم المقاييس في اللغة: ١٨١. والقدم بمعنى الخثرة والثقل وعي

ومنه إبدال التاء من ثوم فاء فوم<sup>(١٢)</sup> في العربية وهي شوم في  
العبرية وتوما في الآرامية. واستدل الدكتور رمضان عبد التواب  
بهذا على أصالة ثوم في العربية التي تطورت إلى فوم فيها<sup>(١٣)</sup>.  
ومن أمثلة هذا الإبدال أيضاً إبدال التاء من جثة فاء، ففي  
(العبرية ج و ف ا هـ: جثة، جسد، الآرامية... ج و ف ا: جثة  
...)<sup>(١٤)</sup>.

#### ٤- الإبدال في الأصوات المتباعدة المخرج:

ويقصد بها (الأصوات التي تباعدت مخرجها وبينها جامع  
صوتي)<sup>(١٥)</sup> من ذلك.

#### - الهمزة والياء:

الياء غاري (من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى)  
<sup>(١٦)</sup> لا يتفقان إلا في صفة الجهر.

ومنه قول ابن فارس في (أزل): (وأما الأزل الذي هو القدم  
فالأصل ليس بقياس، ولكنه كلامٌ موجزٌ مُبدلٌ، إنما كان "لم يزل"  
فأرادوا النسبة إليه فلم يستقم، فنسبوا إلى يزل، ثم قلبوا الياء همزة  
فقالوا أزلِّي، كما قالوا في ذي يزن حين نسبوا الرُّمَحَ إليه: أزني<sup>(١٧)</sup>.  
ومن أمثلة ذلك: إبدال همزة (بثر) في الآراميات (السريانية  
والمندائية) إلى ياء؛ إذ تصبح (ب ي را)<sup>(١٨)</sup>. وهي من المألوف في  
العاميات العراقية أيضاً وكذا في العربية الفصحى<sup>(١٩)</sup>.

إن للإبدال أهمية كبيرة في فهم الدرس السامي؛ إذ عليه المعول  
في إيضاح كثير من التفسيرات للتغيرات التي جرت في اللغات

- الكلام، ينظر: معجم المقاييس في اللغة، مادة (قدم): ٨٣٨.
- (١) كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن  
إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) حققه وقدم له وشرحه: عز الدين  
التنوشي: ٨٩.
- (٢) ينظر: فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب: ٤٧.
- (٣) القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم، مادة (جوف): ١٠٧.
- (٤) المسائل اللغوية والصرفية في المصباح المنير للفيومي: ٥٣.
- (٥) ينظر: علم الأصوات العام: ١٢٨.
- (٦) معجم المقاييس في اللغة: ٧٣.
- (٧) القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم مادة (ب أ ر): ٤٢.
- (٨) ينظر: المقرب علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت/٦٦٩ هـ)  
تحقيق: أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبوري: ٥٢٠ - ٥٢١.
- وينظر: اللهجات العربية الغربية القديمة، حاييم ريبين ترجمة: عبد  
الرحمن أيوب: ٢٣٩ فما بعدها.

السامية، ومن أصعب المشاكل التي يعاني منها الدرس الصوتي  
السامي عدم وضوح مخارج الأصوات وصفاتها في بعض منها  
كاللغات الميتة لا سيما الأكدية والأوجاريتية مثلاً ويهون الخطب  
التناظر الكبير بين آليات التطور الصوتي في هذه اللغات بما يُطمئن  
إلى صحة ما أتوصل إليه من نتائج في هذا المجال، وخير مثال  
على ذلك أن العربية تجمع أكثر التغيرات الصوتية التي جرت على  
أخواتها وهو أمرٌ يحدونا إلى التأمل فيها بشكل أدق؛ لفهم أسرار  
الباقيات، من ذلك أن الواو والميم صوتان شفويان يسهل إبدالهما  
فكلمة أرجوان العربية تقرأ بإبدال الواو ميماً في اللغات الأخرى  
فهي أرجمان في الأكدية والأوجاريتية<sup>(٢٠)</sup> ومعنى هذا الشاهد على  
الإبدال يمكن أن يظهر من مقارنة لغة بأخرى! بل قد يوضح لنا  
الإبدال الصوتي مقارنةً كثيراً من الحقائق اللغوية ومنه قراءة كلمة  
أرض في اللغات السامية فهي في (الأكدية إ ر ص ت م) أ ر  
ص ت م: أرض بلاد عالم سُفلي AHw: ٢٤٥؛ الأوجاريتية  
والفينيقية والعبرية والمآبية أ ر ص ت م؛ والآرامية أ ر ق ا، أ ر ع ا:  
السريانية أ ر ع ا: الأرض؛ المندائية أ ر ق ا)<sup>(٢١)</sup>.

ويمكن إيضاح ما طرأ من إبدال صوتي عليها بالجدول الآتي:  
جدول بتلفظ كلمة أرض في اللغات السامية

ض	ر	أ	العربية
ص + ثم	ر	إ	الأكدية
ص	ر	أ	الأوجاريتية والفينيقية والعبرية والمآبية
ق + ا	ر	أ	الآرامية القديمة
ع + ا	ر	أ	الآرامية الحديثة
ع + ا	ر	أ	السريانية
أ + ا	ر	أ	المندائية

تحول الضاد العربي إلى الصاد والعين والقاف، ويمكن بسهولة  
تحليل الصلة بين الضاد والصاد، إلا أن التحول إلى صوت حلقي  
(العين) أو هوي (القاف) يدعو إلى التأمل؛ للبعد بين مخرجي الضاد  
الموصوفة عند سيبويه بقوله: (ومن بين أول حافة اللسان وما يليه  
من الأضراس مخرج الضاد)<sup>(٢٢)</sup> ومخرجي هذين الصوتين!

(٩) UG: ٣٦٥.

(١٠) القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم مادة (أ ر ص): ١٢.

(١١) الكتاب: ٤٠٥/٢.

ولا يمكن دفع هذا الإشكال ما لم نقل بمخرج آخر لصوت الضاد وهو المخرج الذي وصفه الخليل بن أحمد الفراهيدي حين قال: (ثم الجيم والشين والضاد من حيز واحد) (١) فاقتراب شجر الفم من الهاء والحلق أمر يقبله المنطق اللغوي السليم. ويقويه ما ذكره ابن فارس في (ضوي) من إبدال همزة ضاداً، قال: (ومما شذ عن هذا الباب: صَوِيَتْ إليه أَضْوِيٌّ صُويًّا وأُوِيَتْ بمعنى. ويجوز أن يكون من الإبدال، أن يقام الضاد مقام الهمزة) (٢) وبذا يدفع ما افترضه الدكتور رمضان عبد التواب من تطور الضاد من قاف آرامية قديمة تحولت إلى غين ثم إلى عين في السريانية (٣).

وبذا يمكن القول: إن الخليل بن أحمد الفراهيدي ذكر الضاد السامية القريبة من أصلها (٤) لا الضاد العربية المتطورة وهي خطوة أولى نحو فهم الإشكال في دراسة الضاد.

ظاهرة التسمي في الإبدال الصوتي

ينبغي التنبيه على هذه الظاهرة المهمة في دراسة الإبدال الصوتي، وهي انتقال الصوت في مرحلة ما من التغير من دون المرور بالمرحلة الوسطى منها، لذا أمكن أن نسميها (تسمي الإبدال)؛ فهي شبيهة بظاهرة تسمي المواد الكيميائية وهي انتقال المادة من حالة إلى حالة أخرى من دون المرور بالحالة الوسطى التي بينهما.

لهذه الظاهرة أهميتها في فهم طبيعة الإبدال الذي يجري على الأصوات، وربما كانت هذه الظاهرة عائدة إلى توخي السهولة في النطق، أو بسبب ظروف فيسيولوجية في جهاز النطق الذي يميل إلى اختصار الجهد الصوتي في هذه العملية، وربما يعود ذلك إلى فقدان الشواهد اللغوية على المرحلة الوسطى المفقودة منها. من ذلك مثلاً إبدال الطاء كافاً في (نبط) السبئية بمعنى حفر بئراً

(٥) إذ وردت في الأوجاريتية nbk بالكاف (٦).

والراجح قدمها بالكاف؛ لقدم الأوجاريتية، ولما ذكره موسكاتي من ورودها بالكاف في السامية الأم (٧)، ولذا احتل الباحث فهمي حسن أحمد تطور الكاف إلى تاء، قال: (وعلى ذلك فإن من المحتمل أن الكاف أبدلت أولاً تاء في السبئية القديمة؛ لأن الكاف والتاء تجمعهما صفة الشدة (الانفجارية) والهمس ثم أبدلت التاء - مع مرور الزمن - طاء لسهولة الإبدال بينهما، بسبب أنهما من مخرج واحد) (٨).

### المبحث الثالث: الأصوات المستحسنة وغير المستحسنة

ذكر سيويوه مجموعة من الأصوات اللغوية واصفاً قسماً منها بالاستحسان ووصف الآخر منها بعدمه (٩)، وهي:

#### الأصوات المستحسنة:

وردت أكثر هذه الأصوات في قراءات قرآنية مما يدل على أنها أصوات لقبائل فضيحة (١٠)، وتنبه ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) على أنها فروع من الأصوات الرئيسة الأصلية حين قال: (ولبعض هذه الحروف فروع صحت القراءة بها) (١١).

وهذه الأصوات هي:

#### النون الخفيفة:

وقد أشار إليها مكّي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) بأنها: (تخفي في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف ما قبلها) (١٢) وهي نون تعاملية لا هجائية تظهر مع مجموعة من الأصوات، وهو نوع من التعامل الصوتي يعرف في أحكام النون الساكنة في علم التجويد بالإخفاء (١٣).

(٥) ينظر: الظواهر الصوتية في العربية الجنوبية: ١٢٢.

(٦) ينظر: الظواهر الصوتية في العربية الجنوبية: ١٢٢.

(٧) Moscati, S (and others), Op.Cit. P: 25.

(٨) الظواهر الصوتية في العربية الجنوبية: ١٢٢-١٢٣.

(٩) ينظر: الكتاب: ٤٠٤/٢. طبعة بولاق.

(١٠) ينظر: أصوات العربية بين التحول والنبات، د. حسام النعيمي: ٤٤.

(١١) النشر في القراءات العشر: ٢٠٢/١.

(١٢) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: ٧٤.

(١٣) ينظر: تحفة الباري ونزهة القاري، فراس محمد حسين الطائي: ٣٧-٣٩.

#### الألف الممالئة:

وهو أن يُنحى بالفتحة نحو الكسرة بحيث لو زيدت لصارت الألف ياء وتسمّى الإمالة الكبرى (١).

#### همزة بين بين:

وهي الهمزة المتحركة الواقعة بعد ألف وتنطق عندهم صوتاً بين صوت الهمزة وبين صوت حركتها (٢) ومنها قراءة من قرأ همزة أولئك في قول الله تعالى [ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ] (٣). إذ قرئت الهمزة بين بين (٤).

- ألف التفخيم:

وتخصّ لهجة الحجاز (٥)، وهي ألف وصف نطقها الدكتور تمام حسان بأن: (تستدير في نطقها الشفتان قليلاً مع اتساع الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل، ويرتفع مؤخر اللسان قليلاً فيصير الفم في مجموعته حجرة رنين صالحة لإنتاج القيمة الصوتية) (٦).

ومنها الألفات المكتوبة في القرآن وأوياً متلوّة بالألف الخنجرية كالصلاة والزكاة والحياة (٧).

#### الشين التي كالجيم:

وهي التي وصفها ابن جني بأنها: (الشين التي يقلّ تفشيها واستطالتها وتراجع قليلاً متصدّدة نحو الجيم) (٨) وهي التي تنطق كصوت [ في الإنجليزية وتسمع في بعض لهجات أهل الشام، وجنوب العراق ] (٩).

#### الصاد التي كالزاي:

وهي التي وردت بها قراءة حمزة في آيات منها قوله تعالى:

(لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ) (١٠)؛ إذ قرأ بصادٍ تشرب بالزاي (١١).

١- الأصوات غير المستحسنة:

وهي التي لم تستحسن في قراءة القرآن ولا في فصيح الكلام، وهي:

- الكاف التي بين الجيم والكاف (١٢):

ترد في نطق بعضهم الفعل كمل كنطق (جمل) (١٣) ورجح الدكتور عبد الرحمن أيوب أن تكون قريبة من نطق الكشكشة في عامية العراقيين من قلب كاف الخطاب للمؤنث جيماً (١٤).

#### الجيم التي كالقاف:

أورد ابن دريد أن بعضهم يقول في الجمل كمل (١٥)

#### الجيم التي كالشين:

وتُقل في اجتماع قول بعضهم: اشتمعوا (١٦).

#### الضاد الضعيفة:

ويرى الدكتور حسام النعيمي أنها لم تعد مستعملة (١٧)، ونقل الرضي الاسترابادي (ت ٦٨٦ هـ) عن أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) أنها ضاد من كان نطقه غير العربية فإذا أراد نطق الضاد تكلفها فخرجت ظاء (١٨)، ومعنى هذا أنها غير ما يتصوره الدكتور حسام النعيمي من نطقها؛ لأن الظاء منطوق به لحد الآن اللهم إلا أن يُقال: إنما أراد الدكتور النعيمي الوصف الآخر للضاد الضعيفة وهو مخرج بين الضاد والطاء.

(١٠) سورة الغاشية: ٢٢.

(١١) ينظر: كتاب السبعة: ٦٨٢.

(١٢) يرى الدكتور خالد إسماعيل أن هذا الإبدال غير قياسي فهو لا يراه صحيحاً ففي المحمودية يقال مكرب بمعنى مجرب بينما تبقى أجرب تنطق بصوت الجيم لاختلاف الدلالة.

(١٣) ينظر: المقرب: ٣٢٦/١.

(١٤) ينظر: محاضرات في اللغة: ١٣٠ وفي البحث الصوتي عند العرب: ٣٤.

(١٥) ينظر: جمهرة اللغة ١/٥.

(١٦) ينظر: همع الهوامع، السيوطي: ٢٢٩/٢.

(١٧) ينظر: أصوات العربية بين التحول والنبات: ٤٧.

(١٨) ينظر: شرح الشافية: ٢٥٥/٣.

(١) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٣٢.

(٢) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٣٢-٣٣.

(٣) سورة البقرة: ٥.

(٤) ينظر: إتحاف فضلاء البشر: ١٢٧.

(٥) ينظر: الكتاب ٤/٣٢٢.

(٦) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ٥٣.

(٧) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٣٣.

(٨) سر صناعة الإعراب: ٥٦/١.

(٩) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٣٣.



### الصاد التي كالمسكين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالتاء:

كقولهم: سابر في صابر<sup>(١)</sup> وإبدال الصاد سيناً معروف عند العرب<sup>(٢)</sup>، وكذا الأمر في الطاء التي كالتاء إذ المسوغ قرب الطاء من التاء في الصفات. وقد نسب محمد الأنطاكي هذين الصوتين إلى منظر فوات الشام اللاتني في عصره<sup>(٣)</sup>. أما الطاء التي كالتاء كما في تالم في ظالم فقد استبعد الدكتور خليل العظيمة وجودها<sup>(٤)</sup>؛ إذ يقتضي الأمر أن تفقد الطاء صفتي الجهر والإطباق أو إحداها حتى تكون تاءً<sup>(٥)</sup>.

### الباء التي كالفاء (الباء الفائية):

ويراد به صوت P الإنجليزي، ولعل العرب أخذوه من الأعاجم<sup>(٦)</sup>. ويصعب فهم مزج صوتي الضاد والطاء معاً وهما مختلفان - حسب الدرس الصوتي العربي - فلا يمكن تصورهما صوتين متقاربين حتى يحدث المزج بينهما كما حدث ذلك في صوتي الصاد والزاي وصوتي الطاء والتاء وغيرها، وحل هذا الإشكال في أمرين، هما:

الأول: أن يؤخذ برأي السيرافي من أن الناطق للضاد وهي عسيرة عليه يلجأ إلى صوت الطاء الذي يقرب في شكله عند السمع من الضاد، وبذا نؤرخ عملية تحول نطق الضاد طاء في الدرس الصوتي، وهو شائع عند العراقيين كثيراً.

الثاني: أن تكون الضاد أو الطاء هنا غير اللتين وصفهما سيبويه، وهو أمر غير مقبول جداً.

يظهر للباحث بعض الخلط في فهم ما أراده سيبويه بالضبط منها، فعبارات من تكلم على تلكم الأصوات يفهم منها الإبدال الصوتي كما مر بنا آنفاً من نطق الضاد الضعيفة طاء ونطق الطاء تاء وغيرها، فسيبويه على أغلب الظن إنما أراد تجاوز الحد الذي

(١) ينظر: المقرب: ٣٢٦/١.  
(٢) ينظر: كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر: ٦٤-٦٥.  
(٣) ينظر: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرها، محمد الأنطاكي: ٤٥/١.  
(٤) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٣٦.  
(٥) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٥٦.  
(٦) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٣٧، علق الدكتور خالد اسماعيل على هذا الرأي قائلاً هذا خطأ لأنه موجود في أكثر اللغات العاربة.

رسمه في كل صوت إلى حد الصوت الآخر، بمعنى أن الصاد مثلاً يتجاوز حده الصوتي إلى حيز صوت الزاي فيخرج صوت ثالث يملك من صفات الصاد شيئاً ومن صفات الزاي شيئاً آخر، وكذا الضاد الضعيفة إنما أراد بها صوتاً يأخذ من صفات الضاد والطاء معاً، وهكذا بقية الأصوات وقد جعل سيبويه السبب الذي جعله يقسم هذه الأصوات إلى مستحسنة وغير مستحسنة قراءة القرآن والشعر بهن، بمعنى أن الحسن إنما يصيب الأصوات المستعملة في النتاج الأدبي الراقى، وغير الحسن ما ورد في اللهجات المحلية التي يتكلم بها العوام. يقوي هذا الاحتمال - أي عدم الإبدال الصوتي - إن ما فهمه بعض الباحثين من إبدال الصاد سيناً مع وصفه بالفتح يتعارض مع وصفها لهجة مقبولة في كلام العرب، فلا مندوحة حينئذ من القول إن المراد من ذلك هو إخراج صوت الصاد مُشرباً بصوت السين، وقد لمح بعض علماء القراءات هذا الفهم في مزج الصفات حينما وصفوا قراءة حمزة في (مصيطر) وغيرها فقالوا: إنه صوت الصاد المشربة زايًا، وهنا أقول: يمكن أن نسمي هذه الأصوات الأصوات المشربة بصفات أصوات أخرى. كل هذا يدفعنا إلى القول بوجود التأثير السامي في هذه الأصوات، فما رُصد من أصوات وصف بعضها بالحسن والآخر بالرداءة إنما هي تطورات صوتية سامية عامة تظهر بشكل جلي للمتتبع للأصوات وتطورها في هذه اللغات، ومن غير المنكر سكنى كثير من الأقوام السامية كالعبرانيين والآراميين متجاورين مع العرب على أرض يسهل اختلاطهم فيها، وبمرور الزمن تظهر آثار هذا الاختلاط على ألسنتهم، وقد رصد المبحث السابق الإبدال الصوتي الذي يجري على الأصوات السامية فلا حاجة إلى إعادته هنا.

هذه الأصوات التي رصدها سيبويه تمثل مرحلة تاريخية مهمة في التطور الصوتي السامي، وما ذكرته من وجود مرحلة وسطى في الإبدال تتسامى بعض الأصوات عند الإبدال عنها قد تظهر في ما ذكره سيبويه هنا، بمعنى آخر أن الأصوات المشربة تمثل بعضاً من تلك المرحلة الوسطى التي تنتقل فيها الأصوات من صوت إلى صوت آخر.

### المبحث الرابع: في القلب المكاني

عُرّف القلب المكاني<sup>(١)</sup> بتعريفات كثيرة<sup>(٢)</sup> منها:

- تغيير مكاني في أصوات الكلمة تقديمًا أو تأخيرًا مع بقاء المعنى واحداً<sup>(٣)</sup>.

- تقديم بعض حروف الكلمة على بعض، مع بقاء المعنى واحداً<sup>(٤)</sup>.

ويلاحظ أن القلب يحدث في الحروف المتجاورة عموماً، وقد يحدث في غير المتجاورة أيضاً كما في اكفره واكرهه<sup>(٥)</sup>.

وظاهرة القلب محلّ خلاف بين اللغويين، ففي حين يصفها ابن فارس بأنها من (سنن العرب)<sup>(٦)</sup>، أنكرها أبو محمد ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) الذي ألف كتاباً في إبطالها<sup>(٧)</sup> ومن قبله أبو عمر الجرمي (ت ٢٢٥ هـ)، وقال أبو بكر ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) في باب الحروف التي قلبت (وزعم قوم من النحويين أنها لغات)<sup>(٨)</sup>.

إن من يعلل باختلاف اللهجات لا يؤمن بفكرة القلب المكاني أصلاً بل يعدّ كل واحد منهما أصلاً برأسه، بل إن سيبويه يرى أن الكلمة التي يحدث فيها قلب تصبح قائمة بذاتها ولا ترد إلى أصلها، فهو يقول: (كل ما كان فيه قلب لا يرد إلى الأصل وذلك؛ لأنه اسم بني على ذلك كما بني قائل على أن يبذل من الواو همزة)<sup>(٩)</sup>، ويفصّل ابن جني القول بأن كل لفظة وجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعاً أصليين ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه فهو القياس الذي لا يجوز غيره وإذا لم يمكن أن يكونا أصليين حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه، ثم أريت أيهما الأصل، وأيهما الفرع<sup>(١٠)</sup>.

- (١) ينظر مبحث القلب المكاني في النوع الثالث والثلاثين من كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السبوطي: ٤٨٠/١ وما بعدها.
- (٢) ينظر: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، جرجي زيدان: ٥٩.
- (٣) القلب والإبدال في اللغة، عادل أحمد زيدان: ١٧٨.
- (٤) ينظر: شرح الشافية: ١ / ٢١.
- (٥) ينظر: دراسات في علم أصوات العربية، د. داود عبده: ٩١.
- (٦) الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٢٠٢.
- (٧) ينظر: الخصائص ٧٤/٢، و المزهر ٤٨١/١.
- (٨) الجهمرة ٣ / ٤٣١.
- (٩) الكتاب: ١٢٩/٢.
- (١٠) الخصائص: ٦٩/٢.

علّل الدكتور رمضان عبد التواب تمسك بعض اللغويين بوجود القلب المكاني، بقوله: (ومن الملاحظ أن بعض الكلمات المقلوقة بعد أن تشيع على الألسنة تأخذ مجراها الطبيعي في اللغة باستعمال باقي المشتقات منها، ولأن اللغويين العرب لم يدركوا ذلك حكموا بأصالة بعض المقلوبات، فهاهو أبو جعفر النحاس يقول: القلب الصحيح عند البصريين مثل (شاكبي السلاح، وشائك، وجرف هار، وهائر)، وأما ما يسميه الكوفيون القلب، نحو: جذب، وجذب، فليس هذا بقلب عند البصريين، وإنما هما لغتان)<sup>(١١)</sup>.

وجعل أبو محمد الحريري (ت ٥١٦ هـ) الخلاف في المسألة بين النحويين وأهل اللغة لا بين البصريين والكوفيين، قال: (قال شيخنا أبو القاسم الفضل بن محمد النحوي - رحمه الله -: فأما قولهم: جذب، وجذب. فليست هاتان اللفظتان عند المحققين من النحويين من قبيل المقلوب، كما ذكر أهل اللغة، بل هما لغتان، وكل واحدة منهما أصل في نفسها ولهذا اشتق لكل منهما مصدر من لفظه فقيل في مصدر جذب: جذب، كما قيل في مصدر جذب: جذب)<sup>(١٢)</sup>.

وينبّه على الفرق بين القلب المكاني والاشتقاق الذي نعته ابن جني (بالاشتقاق الأكبر)، بتقليب الجذر الواحد على عدد حروفه، مع اتحاد المعنى، كتقليب (قول)؛ الذي يدلّ بجميع تقاليبه على الحفّة، والإسراع<sup>(١٣)</sup>.

تعدّ ظاهرة القلب المكاني أوضح الظواهر اللغوية التي تعكس الحالات النفسية المؤثرة في سير العملية اللغوية المنطوقة، ورصد الظاهرة في كلام الأطفال قد يظهر حالة من التعثر في تطبيق سلسلة الكلمات التي يحتفظ بها موروث الطفل حينما يحاول تطبيقها في الواقع اللغوي<sup>(١٤)</sup>.

إلا أن الأمر لا يقف عند تعثر الأطفال، بل نجد القلب المكاني شائعاً في كلام الكبار بما يعكس الحاجة إلى تفسيرات أخرى أكثر قبولاً<sup>(١٥)</sup>.

### القلب المكاني في الجذور السامية:

- (١١) التطور اللغوي، مظاهره وعلله، وقوانينه: ٦٠.
- (١٢) درة الغواص في أوهام الخواص: ١٨٧.
- (١٣) ينظر: ابن السكيت اللغوي: ٢٥٤، ويشير فيه إلى الخصائص: ٢ / ١٣٤.
- (١٤) ينظر: سيكولوجيا اللغة والمرض العقلي، د. جمعة سيد يوسف: ١٧١، والصرف، د. حاتم صالح الضامن: ٢٧.
- (١٥) ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف تصنع المعجم الجديد؟، عبد الله العلابي: ٢١٤ - ٢١٥.

تكشف الدراسات السامية المقارنة عن وجود ظاهرة القلب المكاني في اللغات السامية الأخرى<sup>(١١)</sup>، فهي قد تعكس مراحل التكوين الأولى الموهلة في القدم للغة الحديثة<sup>(١٢)</sup>، وحدد الدكتور رمزي البعلبكي أهم ما تكشفه هذه الدراسات في باب القلب المكاني في الآتي<sup>(١٣)</sup>:

- أن الدراسة المقارنة تكشف أصول بعض الكلمات التي حدث فيها قلب مكاني، وضاع الأصل الأول منه في إحدى تلك اللغات، ومن ذلك: (ركبة) التي تعود إلى الجذر السامي (برك).  
- أن بعض الكلمات يحدث القلب المكاني فيها بسبب طبيعة أصواتها، كما في (جزر)، فلصعوبة تعاقب الجيم والزاي، قلبت إلى (جرز).

أن وزن (افتعل) في العربية من القلب، إذ الأصل في الساميات في هذا الوزن تقديم التاء على الفاء، ورجح ذلك في وزن (استفعل). أقول: بل قد تكشف غير ذلك، وهذا ما يتكفل به هذا المبحث، بعونه تعالى.

والحاجة إلى دراسته أكثر فائدة ونفعاً؛ لأنه يكشف عن التغيرات التي تجري على الجذور، ولا تظهر ما لم تقارن في ما بينها، ومن ذلك:

- في الأكديّة (simmiltum)، وهي مقلوب سلم العربية، بمعناها<sup>(١٤)</sup>.  
- كلمة (hprt)، الاوجاريتية، هي مقلوب خروف العربية، بمعناها<sup>(١٥)</sup>.

ولا يتوقف البحث عند هذين الشكلين من القلب المكاني، وإنما يتعدى ذلك إلى دراسة الجذور التي ذكروا أنها من القلب المكاني مقارنة باللغات السامية الأخرى؛ لبيان كلمة الفصل فيها، هل هي من المقلوب؟ أو غير ذلك، من ذلك:

قراءة في (جذب)، و (جبد):  
في محاولة الحصول على الجذر السامي المقارب في الصوت والمعنى للجذر (جبد) وجدت في الأكديّة kapasu بالسین

والصاد<sup>(١٦)</sup>، وهو في العربية أيضا<sup>(١٧)</sup>، وفي المندائية kbs بالشين والصاد<sup>(١٨)</sup>، وكلها بمعنى يلتقط ولعل كلمة gbita المندائية<sup>(١٩)</sup> التي تدل على الالتقاط والانتقاء أكثر قربا في الصوت للجذر العربي (جبد).

وإذا ما حاولنا أن نعكس الأمر لنجد الجذر العربي المقارب لهذه الجذور السامية فإننا نجد الجذر (قبض) أكثر الجذور قربا في الصوت والدلالة على ذلك.

إننا لا نعدم دليلا في العربية نفسها يشهد على صحة هذا التطور الصوتي الذي جرى على الجذر (قبض) حتى أصبح (جبد)، فإذا تتبعنا الجذور المقاربة له في الصوت والدلالة نجد أن ابن فارس - مثلا - ذكر قبض الجذر الذي لا تختلف دلالاته وهي التجمع عن قبض، قال: (القاف والباء والصاد أصلان يدل أحدهما على خفة وسرعة، والآخر على تجمع<sup>(٢٠)</sup>).

فالأول القَبْض، وهو الحَفَّة والنَّشَاط. والقَبْضُ: الذي إذا جَرَى لم يُصِب الأرض منه إلا أطراف سَنَابِكِهِ. ومن ذلك القَبْضُ، وهو تناول الشيء بأطراف الأصابع، ولا يكون ذلك إلا عن خفة وعجلة. وقرئت: [ قَبْضَتْ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ]<sup>(٢١)</sup> بالصاد. وذلك المأخوذ قبضة. وهي قراءة ابن مسعود (رض) وابن الزبير وغيرهما.

أقول: الأعلان في حقيقة البحث واحد؛ بل الأول مأخوذ من الثاني، فكان تطورا دلاليا أصاب المعنى، فخصص للأخذ باليد، مع السرعة في الأخذ.

وهذا يمكن أن ننصو ما جرى على الجذر (قبض) من تغييرات صوتية، وهي:  
- تبدل نطق القاف إلى الكاف والجيم (السامية والقرشية).

#### - تبدل نطق الباء إلى (p) في الأكديّة.

- تبدل نطق حرف الضاد إلى الصاد والشين والسين والتاء في هذه اللغات السامية. ويمكن القول بتبدل نطق الذال إلى الضاد أيضاً، وله شواهد في اللغة العربية<sup>(٢٢)</sup>.

(٦) CDA , K): 9.

(٧) القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم، مادة (ق ب ض): ٤١٩.

(٨) Man: 202.

(٩) Man: 79.

(١٠) ينظر: معجم المقاييس في اللغة: ٨٧١.

(١١) سورة طه: ٩٦. ينظر تفصيل القراءة في البحر المحيط: ٢٧٣/٦.

(١٢) ينظر ما ذكره الدكتور عبد الصبور شاهين من إبدال الضاد ذالاً، أثر

ويبدو أن العربية تحتفظ بقايا الشواهد الدالة على ذلك؛ فإن صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) رصد تصحيحاً في الجذر (جبد) أنكره، وهو تبدل نطق الذال بالذال، قال: (ويقولون: جبد الحبل، وغيره، والصواب جبد بالذال معجمة، يقال: جبد يجبد...)<sup>(٢٣)</sup>.

وتبدل الذال دالا من القوانين الصوتية السامية التي تجري على هذا الصوت وهو الذي يفسر لنا نطقه تاء في المندائية في كلمة gbita.

ومن بقايا تلك الشواهد أيضاً، قولهم للمنية جباذ؛ لأنها تجبذ الأرواح<sup>(٢٤)</sup>، ولا أدل من هذا على القبض، أي إنها تقبض الأرواح. إن هذا الاستنتاج يدلنا على حقيقة مهمة، هي أن الجذر (جبد) ليس مقلوبا من الجذر (جذب)، وإنما هو تطور صوتي للجذر (قبض).

قراءة في (ألك) و (لأك):

قال ابن فارس: (الهمزة واللام والكاف أصل واحد وهو تحل الرسالة، قال الخليل: الألوك الرسالة وهي المألكة على مفعلة... وقول العرب: ألكني إلى فلان، المعنى تحملي رسالتي إليه...)<sup>(٢٥)</sup>.

ولم يضع ابن فارس مادة (لأك) في مقاييسه، كأنه فهم من ذلك رجحان أصالة (ألك) وأن (لأك) مقلوب منه.

ومراجعة الدرس المقارن قد يحكم بالعكس تماماً؛ فربما كان الأصل فيهما هو (لأك) والمقلوب منه هو (ألك).

وهذا الرأي ليس بالجديد؛ إذ ذهب إليه الدكتور إبراهيم السامرائي الذي يرى أن (المادة الأصلية هي (لأك) ونرى أن (ألك) هي المقلوب، وأنها حديثة النشأة بين جذور لغتنا العربية وإن كانت قد اشتهرت بعد ذلك وشاعت في كلام العرب حتى اشتقت منها تلك الكلمات الثلاث: الألوك والمألكة والمألوك... فقد يحدث في ظاهرة القلب المكاني أن المادة الفرعية تسود وتطغى على المادة الأصلية وكثيراً ما يكون الجديد المستحدث محبوباً مأنوساً)<sup>(٢٦)</sup>.

وحجة الدكتور السامرائي وجود الجذر (لأك) في اللغات الساميات وانعدام (ألك) فيهن، قال: (حين نبحت عن نظائر للمادة

القراءات في الأصوات والنحو العربي: ٢٨٩. ومن شواهد العربية عليه نبض العرق ونبذ، القاموس المحيط: ٤٣٣.

(١) تحرير التحرير وتصحيح التصحيح، تحقيق: شريف الحسيني وعصام عبد الرحيم وعصام عبد العظيم: ١٢٩.

(٢) قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط: (جباذ كقظام المنية...): ٤٢٣.

(٣) معجم المقاييس في اللغة، مادة (ألك): ٨٣، وكذا مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (ألك): ٨٢.

(٤) ملك ملاك ملانكة (بحث): ١٠.

فيما نعرف من نصوص اللغات السامية نرى أن المادة (ألك) لا نظير لها في الساميات، وإنما التي لها نظير في هذه اللغات هي المادة "لأك" (...)<sup>(٢٧)</sup> ثم ذكر مادة (مألك) المأخوذة من (لأك) في العربية والسريانية والحبشية<sup>(٢٨)</sup>.

إن انعدام الجذر (ألك) في بقية اللغات السامية لا يعني بالضرورة ما توصل إليه الدكتور السامرائي من أصالة (لأك)<sup>(٢٩)</sup> وقلب (ألك) منه، فربما انفردت به العربية على وجه الوضع به، ولم ينتقل إلى بقية اللغات الأخرى.

ومن رفض رأي الدكتور إبراهيم السامرائي عبد الفتاح الحموز، الذي قال: (ويتراءى لي أن الظاهر في هذه اللفظة أن تكون من (ملك) على أن الميم أصلية، فلا حذف فيه ولا قلب، ولعل ما يعزز ذلك أن مادة (ملك) أصل قديم في اللغات السامية، ولعل ما يعزز ذلك أن ملائكة لم ترد إلا في قول الشاعر الشاذ:

فلست لإنسي ولكن لمألك...<sup>(٣٠)</sup> (٣١)

إن ورود (ملك) في اللغات السامية الأخرى لا يدل بالضرورة على أصالة الميم فيها، بل ما ورد في الاوجاريتية والعبرية في معنى الملك والرسول قد ورد بوجود الهمزة (م ل أ ك) مما يضعف هذا الاستدلال<sup>(٣٢)</sup>، إلا أن ما ذكره من نفي القلب فيه صحيح، والحجة على هذا النفي ما ذكره ابن فارس نقلاً عن الخليل بن أحمد الفراهيدي في مادة (ألك): (وإنما سميت الرسالة ألوكة؛ لأنها تؤلك في الفم، مشتق من قول العرب: الفرس يألك اللجام ويعلكه إذا مضغ الحديد...)<sup>(٣٣)</sup>.

إذن فمادة (ألك) ليست قلباً من مادة (لأك)، وإنما هي تطور صوتي من مادة (علك)، ولما أبدلت العين همزة فأشبهت مادة (لأك) في أصواتها ظن القلب فيها.



(٥) ملك ملاك ملانكة: ١١.

(٦) ملك ملاك ملانكة: ١١.

(٧) UG: 426.

(٨) البيت لعلمة بن عبدة، وتماهه:

ولست لإنسي ولكن لمألك تنزل من جو السماء يصوب

ينظر: شرح اختيارات المفضل، الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق:

فخر الدين قباوة: ٣ / ١٥٩٠.

(٩) ظاهرة القلب المكاني في العربية عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها: ٣٨.

(١٠) ينظر القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم: ٥٠٥.

(١١) معجم المقاييس في اللغة: ٨٣.